الاولى : انكاره لما رآه الجاحظ من اهمية فصاحة الالفاظ باعتبار تلك الفصاحة صفة في اللفظ ذاته، ثم ثورته على مذهب أبي هلال العسكري الذي يردّ جودة الكلام إلى صفات لفظية تقف عند الشكل.

الثانية : تعليقه جودة الكلام بخصائص في النظم (١).

وعبارة الجاحظ «انما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير»، وما نقله عبد القاهر من اهتمامه بالصياغة والصناعة، غير ما يفند هذا الرأي، لان عبد القاهر سار على خطا الجاحظ ونقل مصطلحه في التصوير وقابل : «وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدعناه فينكره منكر بل هو مستعمل مشهور في كلام العرب ويكفيك قول الجاحظ «وانما الشعر صناعة وضرب من التصوير»(٢): فالجاحظ من أصحاب الصياغة، ولذلك تسقط عنه تهمة الاهتمام بالشكلية والالفاظ، وان كان كثير الاعتناء باللفظ واختيار ما يؤدي المعنى أداءً حسنا، وهذه مهمة الاديب الذي يقدّر قيمة الكلام ويبذل في سبيله أعظم الجهود، وقد كان الجاحظ اديباً كبيراً وعالماً قديرا، فعُني بالالفاظ كما عُني بالمعاني وكان له الفضل في تصوير نظم الكلام.

ابن قتيبة :

وتحدث ابن قتيبة (— ٢٧٦هـ) عن الالفاظ، وذكر ان الشعر أربعة أضرب :

١ — ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، كقول القائل في بعض بني أمية (٣) :

في كفّه خيزران ريحُه عبقٌ ... من كفّ أروع في عرنينه شممُ
يُغضي حياء ويُغضَى من مهابته ... فما يكلّم الا حين يبتسم

وكقول أوس بن حجر :

(١) ينظر في الميزان الجديد ص ١٤٩.
(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٨٩.
(٣) كذا في الشعر والشعراء، وفي الحماسة البحترية من أبيات يمدح بها عبد الله بن عبد الملك بن مروان. والبيتان في ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٧٨ (طبعة مكتبة صادر)، وهما في مدح زين العابدين رضي الله عنه.

أيتها النفس اجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

٢ ـ وضرب منه حسن لفظه وحلا فاذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى كقول القائل :

ولما قضينا من منىً كل حاجة ومسّح بالاركان من هو ماسحُ
وشدّت على حُدْب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الاباطح

يقول ابن قتيبة : «هذه الالفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع، وان نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الاركان وحالينا ابلنا الانضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الاباطح» (١).

ونحوه قول المطوط :

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزال معينا
غيضنّ من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا (٢)

٣ ـ وضرب منه جاد معناه وقصرت الفاظه عنه كقول لبيد بن ربيعة :

ما عاتب المرءَ الكريمَ كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

٤ ـ وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه ، كقول الاعشى في امرأة:

وفاها كأقاحي غداه دائم الهطل
كما شيبَ بماء فابل بما رد من عسل النحل

ولم يشر ابن قتيبة إلى لفظة «الفصاحة» في كتابه «الشعر والشعراء» ولكنه استعمل كلمة «الالفاظ»، ويرى أن المحدث ليس له أن يتبع المتقدم في استعمال وحشي الكلام ككثير من أبنية سيبويه، ولا أن يسلك فيما يقول الاساليب التي لا تصح

(١) الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٦. ونعيد الناشر الجرجاني غير هذا الرأي فهو يراها من أبدع الشعر وأعذبه وقد حللها تحليلا جميلا. (ينظر دلائل الاعجاز ص ٥٨) .
(٢) البيتان في ديوان جرير ص ٥٧٨، وهما من قصيدة في هجاء الاخطل.